

ذهب الأستاذ إلى السوق ليشتري بعض الفاكهة له ولأفراد أسرته ، فتبعه تلميذه ليرى ما يصنع أستاذه مع البائع ، يقول التلميذ: فرأيت عجباً ، رأيت أستاذي يختار الرديء من الفاكهة دون الجيد منها، وبعدها أعطى البائع قيمة ما أخذه من الرديء ، بسعر الجيد، فذهبتُ إليه ، وسلمتُ عليه ، وسألته عن فعله ذلك، فقال: إن هذا البائع رجل فقير ، فأحببت أن أساعده من دون أن يشعر بذلك.

إن القليل من الناس هم الذين يفطنون إلى هذه المعاملة الراقية، أما المسلم صاحب التأثير ، فينبغي ألا يفوت عليه ذلك، لأنه يستطيع من خلال مثل هذا الموقف أن يحقق أكثر من فائدة:
الأولى: حفظ ماء وجه البائع الفقير.

الثانية: تشجيع البائع على العمل ؛ لأنه لو أعطاه بلا بمقابل لعوده على الخمول.

الثالثة: دفع ألم الخسارة عن هذا البائع الفقير .

ولكي يكون المسلم مؤثراً في الحياة في مجال الإنفاق في سبيل الدعوة عموماً ؛ فعليه أن ينتبه جيداً إلى هذه الأمور:

١ إذا كان الإسلام نظّم التعامل مع المال ، ودعا إلى الكسب الحلال ، فإنه لم يحارب المال ولم يقف حجر عثرة في سبيل تحصيله، وإنما حارب المال الخبيث الذي يتم الحصول عليه من الظلم والغش والخداع وإيذاء الناس وأكل حقوقهم.

يقول الله تعالى: " يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ". (النساء، الآية: ٢٩)

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مر على صبرة (كومة) طعام ، فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللاً ، فقال: " ما هذا يا صاحب الطعام ؟ " قال: أصابته السماء

(المطر) يا رسول الله ، قال: " أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس ، من غشنا فليس منا " . (متفق عليه).

٢ حذر الإسلام من البخل والشح لأنهما من أقبح وأدم صفات المرء ولا يليقان بالمؤثرين وصناع الحياة.

ولقد ذمّ ديننا الحنيف البخل والبخلاء ، فقال تعالى: " وأما مَنْ بَجِلْ واستغنى. وكذب بالحسنى. فسنيسرهُ للعسرى. وما يُغني عنه ماله إذا تردى " . (الليل، الآيات: ٨-١١)

وقال تعالى: " ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون " . (الحشر ، الآية: ٩)

وعن جابر (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: " اتقوا الظلم ، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح ، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم " . (رواه مسلم)

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): " ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان ، فيقول أحدهما: اللهم اعطِ منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً " . (متفق عليه)

٣ مراعاة الإخلاص لله تعالى ، يقول الله تعالى: " إنما يتقبل الله من المتقين " . (المائدة، الآية: ٢٧)

فالمسلم لاسيما صاحب التأثير إذا أنفق نفقة وهو يطمع من ورائها في نيل شهرة ، أو تحقيق منفعة ، أو طمع في منصب ، فإن ذلك لا ينفعه عند الله في الآخرة ، وليس هذا من باب الإنفاق الحسن ، وإنما هو إنفاق سيء يستوجب العقاب ، لأنه قد يكون طريقاً إلى الفساد والإفساد في المجتمع.

من الضروري أن يضع المسلم صاحب التأثير نفقته في محلها الصحيح ، فليس المهم هو الإنفاق ، ولكن الأهم في توجيه هذا الإنفاق التوجيه الأمثل ، وصرفه في مصارفه الشرعية التي يجبها الله ورسوله (صلى الله عليه وسلم).

٥ إن حثنا على كسب المال واستثماره لصالح التأثير النافع ، لاسيما بالنسبة للمصلحين والدعاة ، لا يعني أن يتحول هؤلاء المصلحون جميعاً إلى تجار يبحثون عن المال وقيمون المشاريع الجالبة له، فهذا أولاً مستحيل وغير منطقي ، إذ لا يستطيعه كل أحد ، فهو بحاجة إلى متطلبات لا تتوفر لدى الجميع.

كما أن الدعوة الإسلامية بحاجة إلى نفر من الدعاة يزهدون في الدنيا ، ويُدكِّرون الناس في الآخرة ، ولا ينشغلون إلا في ذلك ، فلا مال يلهيهم عن أداء هذا الدور ، ولا دنيا تصرفهم عن التفرغ للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والوعظ والتأمل في واقع الأمة والتفكير الجاد المستمر في النهوض بها.

إن هؤلاء دوراً مهماً في التأثير وهندسة الحياة لا يجوز تهميشه أو الاستخفاف به، وهو من التكامل المطالبون به شرعاً وعقلاً ، إذ لم يُنزل الله عز وجل دينه (الكامل) على صنف واحد من البشر (وهم التجار وأصحاب رؤوس الأموال) وإنما جعله منسجماً مع الجميع ويستطيعه كل أحد ، فله الحمد والمنة.

لذا نجد في جيل الصحابة ، وهو خير جيل بشهادة رسول الله (ﷺ) الذي يقول: " خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم " ، نجد فيه الغني والفقير ، والرجل والمرأة ، والشاب والشيخ ، والصحيح والمعاق ، والواعظ والمجاهد ، وجميعهم مؤثر قد ترك بصمته في دنيا الناس ، ولا زال المسلمون يتربون في مدرستهم ويهتدون بهديهم المستلهم من كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ).

٦ إن هذا الاختلاف هو اختلاف تنوع وليس اختلاف تضاد ، هو اختلاف نافع للجنس البشري غير ضار له ، لذا وجب على العقلاء من المصلحين والدعاة وأصحاب التأثير الفذ أن يفرحوا بهذا الاختلاف وأن يستثمروه استثماراً إيجابياً خادماً وداعماً للتأثير المبارك الذي يصبون إليه ، فكل واحد على ثغرة يسدها ويضع من خلالها لبنة

طيبة في هذا البناء الشامخ ، وعندها يرتفع البناء وتكتمل الصورة ويظهر جمالها ويفوح أريجها.

والمهم عندنا هو أن يكون لكل واحدٍ منّا دور مؤثر في هذه الحياة ، وأن تتكامل هذه الأدوار ، وأن لا يُضخّم دور فيكون عملاقاً عظيماً ، في حين يهّمّش الدور الآخر فيكون قزماً مشوهاً.

د. علي الحمادي

رئيس مركز التفكير الإبداعي

والمشرف العام على الموقع الإلكتروني إسلام تايم